الفلسطيني

. صـــالح الرحّـــال .

كانَ في الموتِ أُفقُهُ،
والحياةُ صفيحٌ من الطائرات،
وجنْدٌ تهزُّهم نشوةُ الذبحِ،
والغطرساتُ، وتلك العُقَدْ.
مُثخَن بالشظايا التي فَجَّرتْ كُلَّهُ
قطعةً قطعةً فوق أرضِ البَلَدْ.
فتعالى إلى السَّما
ثُمَّ في غيمةٍ قَعَدْ.
يَدخلُ التُربَ مثلما
تَدْخلُ الروحُ في الجسَدْ.
روحُهُ شُعلةٌ،
والسماواتُ تَبَّانُها والطريقُ.
أضيئيهِ يا شعلةَ الروحِ
حتّى نراهُ.. قواماً.
قوامٌ من الله،
كوفيَّةٌ لبسَتْها السماءْ.
كلُّ آلهةِ الأقدمينَ رمادٌ
ولكنّهُ جمرةٌ، داليهْ،
يملأُ الوقْتَ ضَوْؤُها،
خارجًا، داخلاً إلى
سدرةٍ فوقَ قُبَّةٍ،
تَحْتَها القلبُ كأسُهُ،
والسماواتُ خابيهْ.

❖ ❖

فاحْترِقْ، واحترِقْ يا أذاهُ،
جسمُهُ درعُهُ، القيامةُ فيهِ
والمجرّاتُ كلُّها منْ سَناهُ.
تشربُ الأرضُ شَخبَهُ والرياحينُ،
حتّى يُضوِّئَ بُرعمُها الليلكيُّ،
فيصعَدُ منها إلى حَوْلها
ذلكَ العطرُ،
والصوتُ صَهوتُهُ في الأعالي،
وذاكَ البُراقُ يُناديه يا!!!،
أيُّها المُستضيءُ، المُضاءُ
الأَضاءَ السَّماءَ
تعالَ إلى سدرتي، واقتربْ...
كانَ في الأحَدِ المُستباحِ
يقومُ إلى بيتِ مهدِ المسيحِ،
وفي جُمعةِ المُسلمينَ
إلى مَسجدِ الصخرةِ الواقفهْ.
ولكنَّهُ السّبْتُ
ذاكَ الذي يَبَّسَ الماءَ في الحَلْقِ،
وانتعلَ الموتَ خُفًا
وقامَ لذبْحِ الولَدْ.
أيُّها البطلُ الأرجوانيُّ،
اصنَعْ على تَخمهِ مدفَعًا منْ شظاياكَ
وانهضْ مُعافى، يَحارُ بكَ المُرجفونَ:
أهذا هو الماتَ
وانتحرَ الأمْسِ؟
كيفَ استعادَ الشبابَ،
وكيفَ استعادَ الضياءْ؟

❖ ❖

أيُّها البطلُ الموتُ في عُلبةِ الوقْتِ،
يابْنَ جينينَ ويا ضِفَّةً لا تموتُ،
أأنتَ الكلامُ العصيُّ على النُطْقِ؟
والنُطْقُ نصفُ الوضوحِ،
ويبقى السكوتُ.
سلامٌ عليكَ
على مُصحفٍ أو كنيسهْ،
رفعْتَ سماواتِ هذي البلادِ،
كأنَّ السماواتِ قبْلَ انفجارِكَ
كانتْ غيومًا،

بدايات أسطورةٍ قادمهْ.
سلامٌ عليكَ منَ الأمكنَهْ:
فمكّةُ في ذلكَ الصُبحِ
قامَتْ إليكَ،
ويثربُ يَغسلُها فجرُها كي تَراكَ
بعَيْنَيْ بصيرتها
مَلحمهْ.
يسوعُ اصطفاكَ،
أناجيلُهُ حولَ جلجلةِ الإنفجارِ
تقولُ:
السلامُ على الأرضِ يأتي بهذا الجَسَدْ.
فانسكبْ يا دمَ الأنبياء، انسكبْ
حُفنَةً، حُفنةً فوقَ أحواضِ بيتِ لحمٍ
وغَزَّةَ والقدسِ،
واستعدْ كبرياءَ عليٍّ
وَكَرَّ.. بَلاءِ الحُسَيْنْ.
يا حُسيْنَ الكُرَبْ
اقتربْ.. اقتربْ.
وادخلِ الآنَ، أوْ فادخُلاها معًا،
ساحةُ الكَرْبِ مُعضلهْ،
فادْخلاها إذًا، وادخلاها معًا
مَرَّةً فاصلهْ.
يَنبتُ القمحُ من دمٍ يُخصبُ الأرضَ،
والأمَّهَاتُ يُنادينَ تلكَ الحشودَ
يُغنّينَ في ساحةٍ منْ رُطَبْ،
ماتَ فيها الكَرَبْ.
لماذا، وكيفَ؟؟
.....
فهذا يجيءُ على فَرَسٍ من أعالي الجبالِ،
وذاكَ على ناقةٍ من تلالِ الرمالِ،
وثالثُ من غاسقٍ مُدلهمٍّ،
ورابعُ من قُربةِ الماءِ يَصعدُ،
والخامسُ الحاملُ قَلْبَهُ مِشْعلاً
يُضيءُ الطريقَ بما في دِماهُ
من الكهرباءِ الشموسْ.
ويأتي الذي «في الغيومِ» وبينَ المَطَرْ.
صَوتُهُ أوَّلاً، جسمُهُ، فالبَصَرْ،
ثُمَّ يَنْصَبُّ حَتّى يفيضَ به الوقتُ،
تُلقَحُ كلُّ النساءْ.
لقدْ جاء يشرخُ هذا البغاءَ الذي طالَ،
يُشعلُ تلكَ الفوانيسَ في كُلِّ صوْبٍ،
يُضيءُ بها ما سيأتي من الليلِ
حتّى تقومَ القبورْ.
إنّهُ واحدٌ، كَثْرةٌ،
والأمّهاتُ اللواتي تحدَّرَ منهنَّ،
تحدّرنَ منهُ،...
أقولُ تحدّرنَ منهُ؟
فكيفَ يكونُ الشهيدُ ابنَها وأباها،
مصيرٌ توحَّدَ فيها
البلادُ، الميامينُ، والأمَّهاتُ الضياءْ.
لكِ الخلدُ يا مَنْ جمعْتِ
بكفِّكِ هذي السنينَ
وقَدَّمْتِها باسمَهْ... للوطَنْ،
طريقٌ عليها الشهيدُ الفؤادُ الكَفَنْ.
فهلْ أنتِ أمُّ الفتى
وهلْ كانَ يومًا أباكِ؟
أم أنَّ الشموسَ التي جمعَتْ كُلَّ ضَوئها
ثُمَّ، يا أُمَّهُ، ابتَنَتْ في خلاياكِ معبدا؟
فتوقَّدْ، توقّدي،
واملإِ الأرضَ والمَدى،
وادخُلَنْ، وادخلي بهِ
أُمَّةً
فجْرُها... غدا.

إدلب